**البناء الفني لمسرحية الأجواد عبد القادر علولة**

تعدّ مسرحية الأجواد جوهرة الإبداع المسرحي لعلولة؛ إذ توسطت ثلاثيته المشهورة: الأقوال واللثام، كتبها عام 1985م، وعرضت أكثر من 400 عرض، تجسد صورة من صور التقاء الواقع بالفن، وتجربة راقية في استلهام المعاني التراثية، وهي مجموعة من قصص لتجارب إنسانية في شكل قصائد، يربط بينها فضاء الوجدان الشعبي، المتمثل في شخصية القوال، وتتميز هذه المسرحية عن غيرها ببناء فني متفرّد؛ حيث تقدم لنا سبع شخصيات نموذجية، لكل منها قصتها موضوعها المنفصل عن البقية، في سبعة مشاهد، تتركب هذه العناصر المشتتة في شبكة واحدة، عن طريق إعادة بعث شخصية القوال، الذي يتخذ من الأسلوب القصصي وسيلة ربط، فيجمع بين تلك المحوريات المختلفة، ليتجلى النقد اللاذع لكل أضرب الفساد في المجتمع، فتصور المسرحية بصدق عالم الفوضى الذي تعيشه المؤسسات الجزائرية في جميع الأصعدة.

**عنوان المسرحية:** من المعروف أن العنوان هو أول لقاء بين القارئ والنص، إنه من الصور التي تنطبع في ذهن المتلقي لترسم مفاهيم عامة، تستند في وظيفتها إلى التأويل، ليبني المتلقي نصا موازيا لمضمون ما عنون به، وعنوان المسرحية **الأجواد**، والأصل في الكلمة شعبي دارج، جمع مفرده الجيّد، والجيّد في التداول الشعبي صورة من صور مثالية الإنسان عندما يبلغ أعلى درجات التضحية من أجل الآخرين، وهو من يحتوي أحلام الناس، ويستوعب ما في صدورهم دون علمهم، والجيد هو الذي يجود بما لا حصر له. وعنوان المسرحية يحيل إلى صفة السخاء التي يتصف بها أبطالها، وهم أناس بسطاء إلى أبعد الحدود، عبّر المؤلف من خلالهم عن إيمانه بفكرة التغيير والثورة، الذي لا يتأتى إلا بمن يشعرون بحق بمرارة الحياة.

**موضوع المسرحية:** الأجواد نشيد لكل المتواضعين والإنسانية السخية، هذه هي الفكرة الرئيسة للمسرحية، فهي عبارة عن جدارية/ خلفية تمثل الحياة اليومية وبعض الجزئيات من حياة الجماهير الكادحة، إنها مناظر إنسانية نصادفها كل يوم من واقعنا الاجتماعي، وهذه اللوحات الفنية تكشف سلوكيات ومواقف هؤلاء البسطاء، وكيفية تكافلهم بتفاؤل كبير وإنسانية متأصلة بالمشاكل الكبرى للمجتمع، سواء ما تعلق منها بالبيروقراطية، وسوء التسيير، والانتهازية...

**شخصيات المسرحية:** تتميز هذه المسرحية بميزة رئيسة، هي استقلال مشاهدها عن بعضها؛ بحيث يقوم كل مشهد بذاته، ما نتج عنه عدم وجود شخصية محورية واحدة، تدور الأحداث حولها، وإنما تتقاسم كل الشخصيات مصيرا واحدا. وقد استلهم علولة شخصيات المسرحية تأثرا بالواقع المعيشي؛ حيث تأخذ بساطتها في كثير من الأحيان، أبعادا رمزية منقطعة النظير، فهي تعبّر عن ذاتها وما يحيط بها، ولإدراك حقيقة هذه الشخصيات، ينبغي العودة إلى المحتويات التي تقدمها شخصية القوال، باعتباره لسان حالها. وقد احتوت المسرحية عموما سبع شخصيات:

**الحبيب الربوحي:** تعرض المسرحية شخصيته للكشف عن خبايا اللامسؤولية والنفاق في المجتمع، بعدما حمّلها المؤلف معظم المبادئ التي تخدم تثوره للواقع، فهي شخصية بسيطة التركيب، ذات مبدأ، لها من الشعور الوطني والاحساس بالمسؤولية ما يدفعها لنكران الفساد والتذمّر منه، كما تمثل الطبقة الاشتراكية الكادحة.

**المنور/ العكلي:** عبّر المؤلف من خلالهما عن رصيد الأفكار الزاخرة والمواقف المختلفة تجاه العلم، لتكون واصلا بين الأجيال، وتحمل مبادئ التغيير نحو الأفضل.

**جلول الفهايمي:** لهذه الشخصية وجود متميز، نبع من الشحن النفسي الذي رسمه لها المؤلف كونها شخصية وطنية ملتزمة ومسؤولة، حاملة لمبادئ إنسانية وُضعت في تربة عفنة لا صلاح للحياة فيها، تعبر عن أن بناء المجتمع لا يكون إلا للعائلة والتربية الصحيحة لأبنائها على أسس من المحبة والجرية والاحترام.

أما شخصيات **علال، منصور، سكينة** فأراد لها المؤلف أن تكون آهات وطن ينزف تحت جور غير الأسوياء، فهم يمثلون التضحيات الجسيمة التي يقدمها الون ثورة على الفساد:

**علال:** يمثل معاناة العمال وقطاعهم المستغل بسبب تقاعص الدولة عن حماية اقتصادها، ما أدى إلى ظهور الأعمال الطفيلية وتحطيم الاقتصاد الوطني، عن طريق تشجيع استيراد السلع الأجنبية واحتكار وسائل الإنتاج، كما يمثل مصدر التغيير من خلال حث العمال على الاتحاد.

**منصور:** من رموز البناء في المجتمع، يحمل الشباب على البناء وتحمل المسؤولية والإسهام في التغيير، انطلاقا من علاقته بالآلة (الماكنة)، ووفاء العمال لعملهم وحبهم لوسائل الإنتاج.

**سكينة:** هي ضحية حوادث العمل الناجمة عن إهمال مسيري المصنع لحقوق العامل، تمثل صرخة قوية، تذلل الصعاب وتواجه العراقيل، رغم ضعفها وعدم قدرتها عن مواصلة الدفاع عن نفسها، وهي في الآن نفسه تأكيد على أن الإهمال واللامبالاة ما هي إلا وسيلة تحطيم لعزيمة واتحاد الطبقة الكادحة.

**القوال:** اعتمد علولة شخصية القوال اعتمادا كبيرا بين مشاهد مسرحياته ولوحاتها، سواء بالتعليق أو الوصف أو الحديث على لسانها، اعتمادا على الأغنية الشعبية (مقاطع) فيتكوين هذه الشخصيات ورسم طابعها التراثي.

وعليه، فجل هذه الشخصيات تتفاعل جملة لتسمع صرخات معاناتها للآذان التي طال صممها، أملا في صناعة غد جديد.

**الحوار:** لغة الحوار في المسرحية مرتبطة بطبيعة شخصياتها وطريقة عرضهم؛ إذ ليسوا حاضرين في بؤرة حدث تصنعه إرادتهم، وإنما يتولى القوال سرد حكاياتهم في مستويين من اللغة التخاطبية:

- لغة شاعرية يرددها القوال في لوحات غنائية تتحدث عن **علال، منصور، سكينة.**

- لغة عامية منقّحة، تتخاطب بها شخصيات **الحبيب الربوحي، المنور، الفهايمي**، وتعكس هذه اللغة على تنوعها حدود الشخصية المتحررة من قيد لغة السلطة الغاشمة إلى لغة دارجة تبحر في الفضاء الشعبي الرحب، لا تُفهم مفرداتها إلا في نطاق محلي ضيق، تجعل من الاشتراكية لغة موحدة، لغة الناس كافة ببسطائهم وكبريائهم.

**الصراع:** يعدّ الصراع اللبنة الأساس لتأسيس المتن المسرحي، وينبثق هنا من صراع شخصيات الأجوادن بما فيه من العسر والقسوة لكل أشكال الامبريالية والاستغلال والرأسمالية المجحفة، بهدف محاربتها وحمل لواء التغيير في المجتمع: فـ**علال** مثلا يصارع الواقع المتعفن سبيل العيش الكريم، و**الربوحي** يصارع تلك الأطماع الشخصية التي تدوس على المصالح العامة، ويصارع **منصور** أوجاع القهر بشتى صنوف الاستغلال... آهات تردد صداها في فضاء المجتمع أملا في مستقبل واحد.

**البنية المكانية والزمانية:** أعطى علولة في مسرحية الأجواد تنوعا كبيرا لعنصري الزمام والمكان، يبدو هذا جليا في المكان الذي تنقل فيه الكاتب من موضوع للآخر: الشارع، مصلحة النظافة، ورشة البلدية، الحديقة، المصنع، المستشفى... لذا وجب على الكاتب استخدام السرد بكثرة، وتوظيف شخصية القوال ودوره الكبير في وصف الأمكنة وتقريب صورها للمتلقي.

أما الزمن في هذه المسرحية، فغير محدود، وهو زمن الأحداث، يرتبط ارتباطا وثيقا بوقوعها، ويتنوع بتنوعها في كل مشهد من مشاهد المسرحية، إنه صورة عن أحداث ماضية، خلفتها السياسة الاستعمارية، ومازالت مخلفاتها باقية حتى اليوم، على الرغم من اختلاف الأزمنة، وهذا ما يتيح للمتلقي ربط الأحداث التاريخية بالواقع الراهن.

**الحل/ النهاية:** جعل المؤلف نهاية كل مشهد من مشاهد مسرحيته مفتوحة على قراءة المتلقين (في ذلك الوقت)، وهي نهاية تحمل بعدا استشرافيا، يستنهض المؤلف من خلالها هم أفراد المجتمع للانتفاضة على الواقع وتغييره.